هدية من دار المعارف
إدارة النشر
غير مخصص للبيع

مكتبتى ٥٨

# شارع السعادة

تأليف: نجوان الغطريفى
رسوم: زكريا عبد العال

دار المعارف

تصميم الغلاف
محمد أبو طالب

تنفيذ المتن والغلاف
بالمركز الالكترونى
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

إعداد الماكيت: أماني والى

# شارع السعادة

فى مَسَـاء ذلكَ اليوم المعهُـود، أُقيمَ حفلٌ فـى دار الضيافَة بميدان السّـاعة الشّـهير، فِى تلكَ البلدة السّـاحلية المطلّة عَلـى البحْر. كانَ «رزق» لا يزالُ لابسًـا بَدْلَةَ التشْـريفَة السّـوداء، كانَ يلبسهَا شاعرًا بالغبطَة والسّرُور؛ لأنهَا كَانت رَمْزًا لوظيفته المُحْترمَة. وكانَ حينمَا يخلعُ بدلةَ التشريفَة هَذه، يشعرُ بالقلَق. فبهذَا الزّى. كانَ يقابلُ علْيَةَ القـوم؛ وأفرَاد المجتمَع الرّاقى، فِى المناسَـبَات، والاحتفَالَات، ويقدمُ لَهم المَشروبَات السّاخنَة فِى الشتاء، والمشروبَات المثلجَة فِى الصّيْف.

فِى ذلكَ المسـاء، قامَ بعمَله فِى هدوء واحتـرام ودقّة، وبعدَ انتهَاء الحفل الـذى حَضره حاكمُ البلـدة، نقلَ المقاعدَ إلَى أماكنهَا، ونسّـق المـكانَ، وأعادَ المصباحَ الذّهبىّ إلى مَكانه عَلى المائدة فِى وسـط القرص الرخَامـى النّاصع البيَاض، فشـعرَ بالرّضَى ثم خـرجَ وأغلقَ بابَ دار الضيَافة.

عـادَ إلى بيتِه الصّغير الرطب ماشـيًا عَلى مهل؛ فقدْ أُصيبَ بشـلل الأطفـال وهو طفلٌ صغيرٌ، وكانَ بيتُه قريبًا لحسْـن الحَظ. كانَ المديرُ الجديـدُ قَدْ عُينَ منذُ أَسَـابيعَ قَليلَة، كانَ رجلاً متـورّدَ الوجْه، ضيقَ العينـين، حَـادّ الصّوت. كانَ يتناولُ المشـروبَات والحلْـوَى معَ كبار

الأعيانِ الذينَ كَانُوا يفدونَ إلى الدارِ فى المناسباتِ مُرَحِّبًا بِهِم. لَمْ يَكُن كالمديرِ السابقِ الذى كانَ يأمرُ جميعَ المشتغلينَ بالدارِ برفقٍ ولينٍ، وكثيرًا مَا جلسَ إلى «رزق» ساعَاتٍ طَويلَة، كانَ الأبُ العطوفُ والرّاعى الصالحُ «لرزق» منذُ التحقَ بالعملِ فى دارِ الضيافة، وكثيرًا مَا نصحَهُ وتحدّثَ إليْه فى أُمورِ الحياةِ المُختلفَة.

كانَ يقدرُ احْترامَه لعمَله، ويُعجبُ بحسنِ خُلُقه وَأدبه. أمّا المديرُ الجديدُ المتكبرُ، فلم يكنْ يدعُ فرصةً تمرُ مِنْ غيرِ أنْ يثيرَ ضجّة، ويوبّخَ الجميعَ خُصُوصًا «رزق» الذى أطلقَ عليه النَاسُ اسمَ (عَمُودُ الدّار) مِنْ شدّةِ حُبّهم له. كانَ هَذَا الحبُ مُكافأةً أهداهَا له النَاسُ، مُقابلَ السنواتِ التى قضاهَا فى خدمةِ كُل مَنْ طرقَ البابَ، ودخلَ المكانَ بصدقٍ وإخْلاص.

وللأَسَفِ كانَ هذَا الحبُ سببًا فى كراهيةِ المديرِ الجديدِ له، وَرَغبته فى التخلُصِ مِنْ وجُودِه مَعَه فى العمَل.

وَذَاتَ مساءٍ فرغَ «رزق» مِنْ عَمَله. بعدَ يومٍ شَاق، ونسّقَ المكانَ أحسنَ تنسيقٍ قبلَ أَنْ يجلسَ ليستريحَ دقائقَ قليلة. هبطَ المديرُ المغرورُ يتبخْترُ كالطّاووسِ مِنْ أعْلى السلّمِ الخَشبى، وأحدثَ ضوضاءَ عَالية، كأنَ كرةً مِنْ حديدٍ أَخذت تتدحرَجُ عَلى السلّم.

رفعَ صَوته الكريهَ فأزعجَ الحيطَانَ وقَال:

«رزق» عِنْدى أَشْيَاء أُريدُ أَنْ أحدثَكَ بِهَا.

أجَابه: حسنًا يَا سَيّدى:

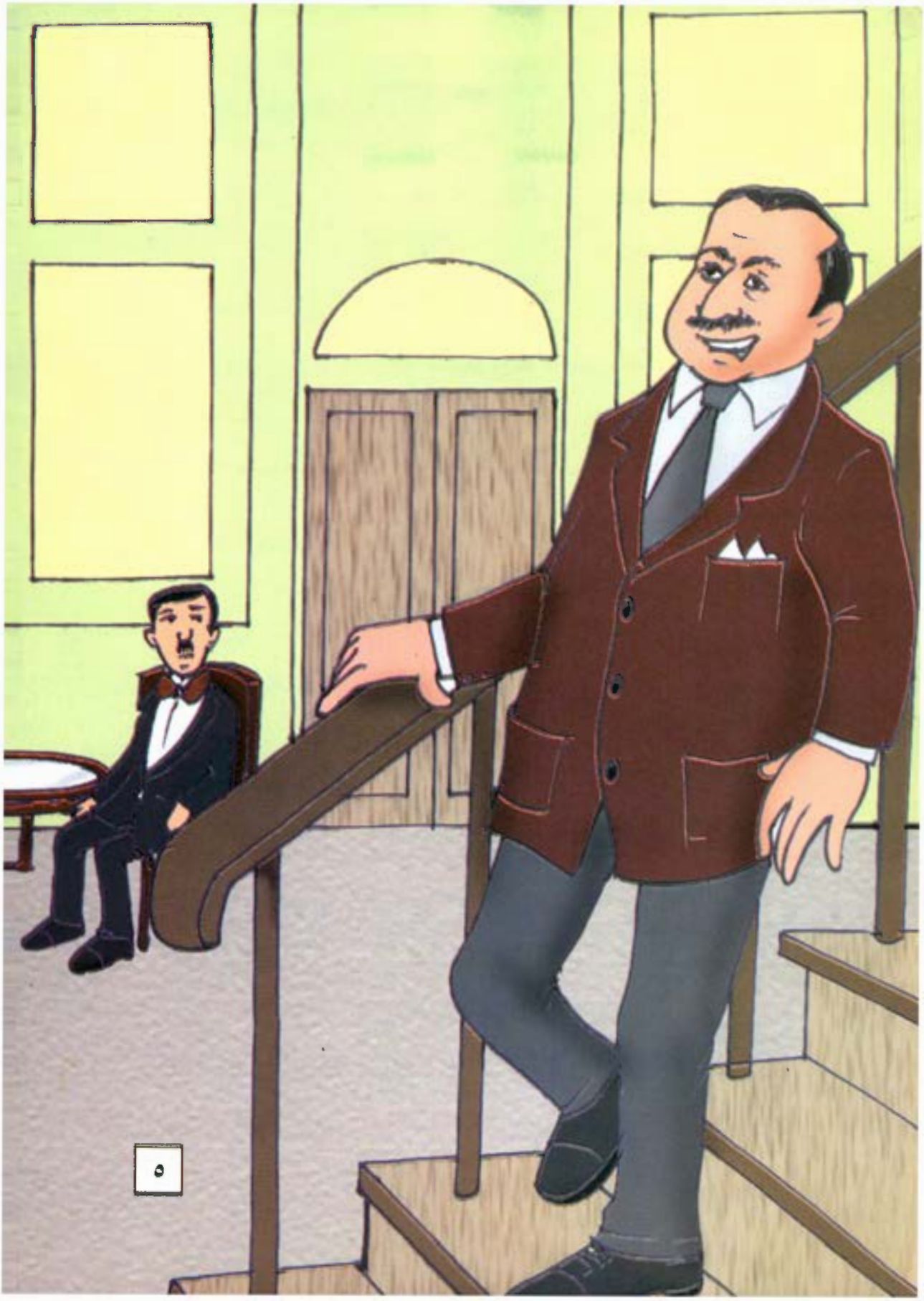

تقـدّمَ المديرُ إلى غرفةِ الوكيلِ الذى عَيّنه المديرُ أخيرًا، تبعهُ «رزق» وبدَا عليه القلقُ لمّا وجدَ مساعدَ المديرِ جالسًا عَلى المقعدِ المقابلِ للمَائدة، وقدْ عَقدَ حَاجبيْه، وظهرَ الضيقُ الشديدُ عَلى وجْهه.

بدأَ المديرُ الكلامَ فى خفّةٍ ونشاطٍ قائلاً:

«يا رزق» أريدُ أنْ أذكرَ لكَ شـيئًا ربمَا لا يسرُّكَ، لقدْ قضيتَ فى دارِ الضيافةِ سنواتٍ طويلَةً، وقمتَ بواجبكَ خيرَ قيَام، لكنى لاحظتُ أنكَ بَطيىء كالسـلَحفاة، كمَا أنكَ تعرجُ عرجًا خَفيفًا، وهذَا لا يليقَ بمكانٍ يَزُورهُ الكبراءُ وأصحابُ المراكزِ العَاليَة.

لَمْ يظهرْ عَلى وجهِ «رزق» أىُّ أثرٍ للاضطرَاب، وأجابَ بثقة:

كانَ المديرُ السابقُ يعلمُ أننى أُصبتُ بشللِ الأطفالِ فى طُفُولتى، وهذَا لا أهميّةَ له فى العملِ الذى أَقُومُ به خيرَ قيام، وشهدَ لِى الجميعُ بذلكَ، ومنَحنى المديرُ السابقُ شَهادةَ العامِلِ المثَالى.

نظرَ إليه المديرُ - باحتقَارٍ - وقال:

هذَا منْ أعجبِ مَا سمعْتُ، أتريدُ أنْ تقولَ إنكَ خدمتَ فى الدارِ ستّ عشرةَ سنةً وأنتَ بحَالتكَ هَذه ؟!

وقَفَ «رزق» مَرْفـوعَ الرّأس، وكانَ طويلَ القامَة، نحيفَ القوامِ لبقًا فِى تَصَرُّفاته، شديدَ الثقةِ بنفسه، مرّت لحظاتٌ ثُمّ أجَاب:

لقـدْ قمتُ بالخدمةِ هنَا وأنَا فِى الثانيَة عَشْـرة مـنْ عمرى، بعدَ أنْ أتممتُ دِراستى بالمدرسَةِ الابتدائيَة. وبعدَ وفاةِ أبى اضطررْتُ أنْ أعملَ

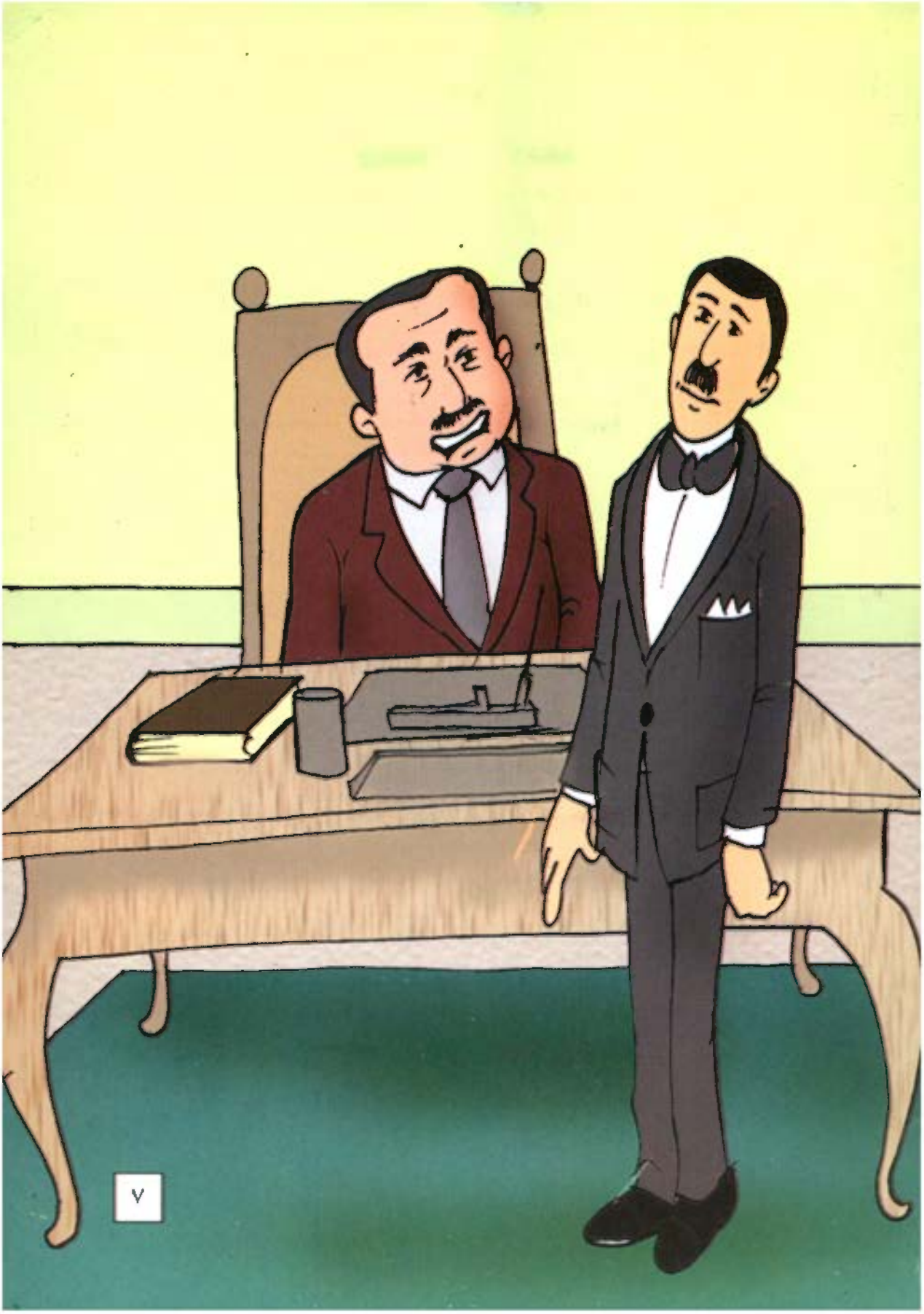

لأنفقَ عَلى أمى وأنَا فخورٌ بذلكَ، وقدْ شَجّعنى المديرُ السابقُ، وتعلّمتُ اللغةَ الإنجليزيةَ بفضْلِ تَشْجيعه، والتحقْتُ بمعهدٍ قَريبٍ، وكنتُ أحضرُ الدروسَ فى أوقاتِ فَراغِى.

نظرَ «رزق» إلى مساعِد المدير الذى حَوّلَ نظرَه إلى المَائدة والقرص الرخَامى البارِد القَاسى فوقهَا، وإنْ كانَ قلبُه أشدّ برودةً وأكْثرَ قسوةً منَ الرخَام. احمرّ وجهُ «رزق» منَ الغضبِ، وتحرّكَت قدمَاه، وارتعشَت رُكبتَاه، وظلّ صامتًا لا ينطقُ بكلمَة.

كانَ «رزق» قد كرهَ المديرَ الجديدَ منذُ قدومه، وقالَ لأمّه :

لقدْ أخطأُوا باختيارِه لمَكان يأتى إليه أكابرُ النَاس.. يَا أسَفى عَلى المدير السّابق.. لَنْ أنْسَى فَضْلَه عَلىّ حَتّى آخرَ لحظَة فى حَياتى. كانَ «رزق» متسامحًا ليّنَ الطبَاع، لكنّه كانَ لاَ يقبلُ الإهَانَة.

قالَ المديرُ بصوتٍ حَاد كالسّكين: لَقدْ قررْتُ أنْ أعطيكَ مهلةَ عشرةَ أيام؛ لتجدَ عملاً فى مكَانٍ آخرَ، فقد استغنيْنَا عَنْ خدمَاتكَ.

رفعَ «رزق» رأسَه عَاليًا وشَدّ ظهْرَه وقَالَ بهُدُوء:

نعمْ يَا سيدى سأقدمُ استقَالتى بعدَ المهلَة فأنَا أفهمُ الموقفَ جيّدًا.

كانَ يعرفُ قيمةَ نفسه، ولمْ يكنْ يقبلُ أنْ يذلّ نفسَه، كانَ يقومُ بعمَله خيرَ قيام، ويجيدُ اللغةَ الإنجليزيةَ، احْترمَ نفسَه فأحَبّهُ النَاس.

وحينمَا غَادرَ المديرُ ووكيلُه المَكَان، لَمْ يستطعْ أنْ يظهرَ بمظهرِ الكرامَة والقوة التى أظهرهَا لهمَا، فالضّربة كانتْ قويّةً عنيفَة. رتّبَ المكانَ، ووضَعَ كلّ شىءٍ مَكَانه، وقررَ أنْ يقومَ بوَاجبه إلى آخر

لحْظَة، وإنْ كَان قَدْ شـعرَ بدمُوعه تتساقطُ عَلى خدّيْه ، وشَعَرَ برعشةٍ شديدَةٍ اهتزّ لهَا منْ رَأْسه إلى قدميْه .

سـارَ مهْمومًا فالمبلغُ الذى ادّخره لاَ يكفيه أكثر منْ شـهريْن، وأمهُ المسكينةُ المريضَةُ كَانت لا تستغنى عَن الدّوَاء. كانَ مستغرقًا فى التفكير، فسارَ فى اتجاه خَاطىء، مشَى طويلاً ثمّ شعرَ بالجوع والعَطَش، ولمْ يجدْ دكانًا يشترى منه فطيرةً صغيرةً أو كوبًا منَ الشّاى السّاخن. وصلَ حَتّى آخرَ الشـارع فوجدَ لافتة مُعلقة عَلى مَبْنـى، كُتبَ عليهَا بخطّ عَريض «شارع السـعادة» انطلقَ ضاحكًا معَ أنّ قلبهُ كانَ موجوعًا حَزينًا. ضحكَ لأنّه شعرَ فى تلكَ اللحظة أنّ السعادةَ لا وجودَ لَهَا.

كانَ الشـارعُ طويلاً، وَبه محلاتٌ مُختلفـةٌ، ولكنّه لَم يكنْ به دكانٌ واحدٌ لبيْع الشّـاى والفطَائر، فقالَ فى نفْسه: هذَا عَجيبٌ لا يمكنُ أنْ أكونَ أنا الإنسـانُ الوحيدُ الذى مَشَـى فى هذَا الشارع الطويل، وشعرَ بالجُوع والعَطَش. وغيرُ عجيب أنْ يكونَ النجاحُ منْ نصيب إنسانٍ يفتحُ فى هذَا المكان دكانًا صغيرًا لبيْع الشّاى والفطَائر.

تحوّلَ إلى الطريق الذى يوصّلُ إلى بيته الصّغير. تناولَ طعامَ العشاء وشربَ الشّاىَ معَ أمه، سألته أمه: لمْ تقلْ كلمةً واحدةً منذُ أنْ رجعتَ منْ عملكَ، هلْ ضَايقكَ أحدٌ يَا بنى؟

أجابهَا: لأننى مشْغُولٌ بالتفكير يَا أُمى.

وفى اليوم التّالى سَـارَ فى نفس الطريق، ولحسـن حظّه رَأى دكانًا صَغيـرًا للإيجَار، لَمْ يتردّدْ فى اسـتئجَاره، ولمّا تـركَ الخدمةَ فى دار

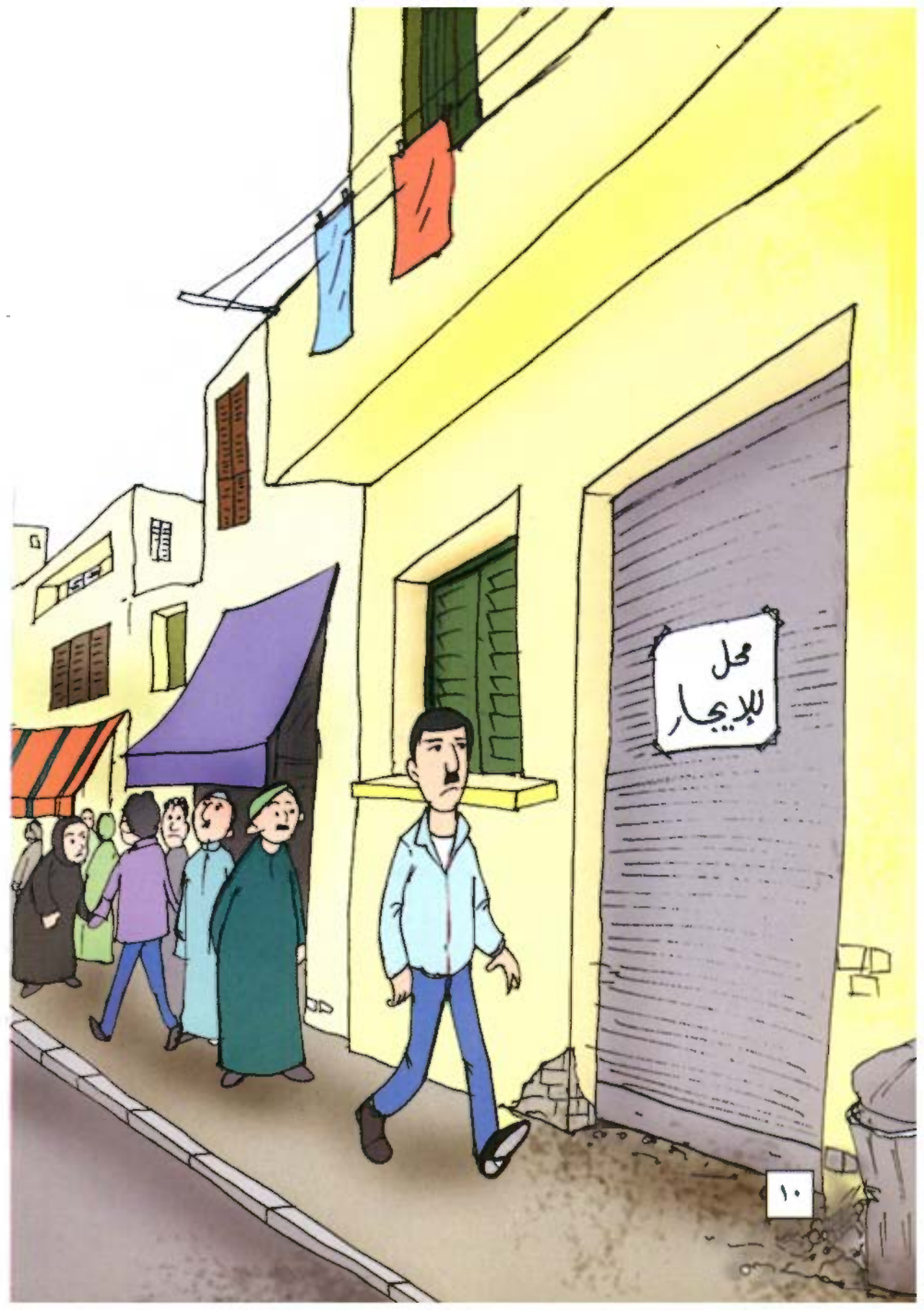
محل
للإيجار

الضيافة، بدأ العملَ بالدكان كَبائع جَرائد وشَاى وفَطائر لَذيذة، قَامت أُمه بخبزهَا ولفهَا فى ورق سُلُوفان برّاق الألوَان.

وفّقَهُ اللــهُ فى عَمَله، وأحبّه الناسُ لحســنِ خُلقه، ونظافَة دكّانه، ورخص أَسْعَاره.

مَرّت ســنةٌ فأخذَ يبحثُ عَنْ شــارع آخــرَ طويل، وليــسَ به دكانٌ صغيــرٌ يقدّمُ للناس مَا يُقدمُه فــى دُكّانه. ولمّا وجدَ الدكانَ لم يتردّدْ فى اسْــتئجَاره، ونجحَ كذلكَ فى هذه المرّة نجاحًــا كبيرًا، وكلّمَا مرّ عليه أَجَانبٌ يســألونَ عَنْ عنوان تكلّمَ معَهم باللغة الإنجليزيّة، وَدلّهم عَلى المكان فسمّاه أهلُ الشارع «رزق» العَجيب.

خطــرَ ببَاله أنه إذَا ســارَ عَلى هذَا الطريق، ســينتقلُ منْ نجاح إلى نَجَاح. وكَانَ كلمَا وجدَ شارعًا طويلاً، وليسَ به دكانٌ يبيعُ مَا يحتَاجُه النَاسُ منْ مشــروبات مثلجــة وجرائد وفَطائر اســتأْجرَه بدون تردُّد. وبعــدَ ســنوات انتقلَ هو وأُمه وزوجَتُه إلى بيتٍ جديدٍ واســعٍ تَدْخلُه الشمسُ كلّ صَبَاح.

ولم ينسَ أَنْ يشــترى مائدةً عليهَا قرصُ رُخَام أبيض ناصع البياض؛ لتذكرَهُ بالمائدة ذات القرص الرخام التى كانتْ تتوســطُ القاعَةَ فى دار الضيافَة، التى قابلَ فيهَا المديرُ الطيبُ الذى تعلّم منه دروسًا لاَ تُنْسى. تذكّــرَ مَا قَاله له قبلَ نقلــه بأيّام، يَا بنى: إذَا قذفكَ إنســانٌ بالطوب ووقعتَ عَلى الأرض، اسندْ يدكَ عَلى الحائط، وقفْ ثانيةً، واصعَدْ فوقَ الطــوب طوبةً طوبَةً بهدوء، ترتفعُ وتعلُو، فاللــه يحبُّ المؤمنَ القوىّ وينْصُره.

مرّت سنواتٌ وفِى ذاتِ يوم سَأله ابنه: أبى كيفَ جمعتَ هَذه الثروةَ الكبيرةَ ؟ حَكَى (رزق) العَجِيبُ لولَده الحكايةَ مِنْ أولهَا إلى آخرهَا.

تعَجّب ابنُهُ وسَأله:

أَبى مَاذا سيَكُونُ حَالك الآنَ لَوْ لَمْ تُصَبْ بمرضِ شللِ الأطفالِ فِى طُفُولتكَ ؟!

أجابَ «رزق» العجيبُ وعَلى وجهه ابتسامَةٌ خفيفَةٌ: كنتُ سَأبقى عاملاً يقدمُ المشروباتِ فى دارِ الضيافةِ الموجودَةِ فِى ميدانِ السّاعةِ يَا إبنى العزِيز.

# حكاية التاجر البخيل

إنه تاجرٌ واسعُ الثراء، لكنّه كانَ بخيلاً، فقد جمعَ ثروةً كبيرةً منَ القطعِ الذّهبيّة، كانَ لا يكفُ عَن التحدث عَنْ ذكائه فى جمْع المال، حتّى يغيظَ أصحابَه، ويملأَ قلوبَهُم حَسَدًا. وإذا جاءَ الليلُ وانتشرَ الظلامُ، أمسكَ قنديله، وأشعلَ فتيلةً وقصدَ غرفةَ الأسرار، وَهى الغرفةُ التى لا يعلمُ مكانهَا إنسانٌ غَيره. كانَ يسيرُ فى السردابِ حاملاً قنديله، كمَا يَنْسَلُّ اللصُّ الحريصُ المُدرب. ثُمّ يمدُّ يدَه إلى الصندوق فى لطفٍ وتحفظ، ويمسُه مسًا رقيقًا كأنه ينالُ منه البركة. ثُمّ يفتحُ الصندوقَ وينظرُ فيه نظراتٍ فيهَا الكَثيرُ منَ الإجلال والاحترام. ويمدُّ يَدَهُ لكى يلمسَ القطعَ الذهبيّة، يلاطفهَا ويتغنّى بجمالهَا الذى يفوقُ بريقَ النجوم ونورَ القَمر.

رجعَ ذاتَ يوم منْ إحدَى جَوْلاته، بعدَ أنْ عقدَ صفقةً تجاريّةً رابحةً ومَعَه صُرّة تضمُّ خمسمائة قطعَة ذهبيّة. بحثَ فى جُيُوبه فلمْ يجد الصُرةَ الغاليّة. بحثَ هنا وهناكَ وفى كلّ مرةٍ تخرجُ يَدهُ فارغة، وَلَمّا تأكدَ منْ ضياع المال، صاحَ صيحَة رعب، ودَار حولَ نفسه دورانًا سَريعًا انتهى به إلى السقوط على الأَرْض.

خرجَ منَ البيت وعادَ منْ حيثُ أَتى، وسألَ كلّ مَنْ لقيَه فى الطريق عَنْ كنزه الذى فَقده، فلمْ يسمعْ خبرًا يُطمئنه. قصدَ بيتَ صاحب

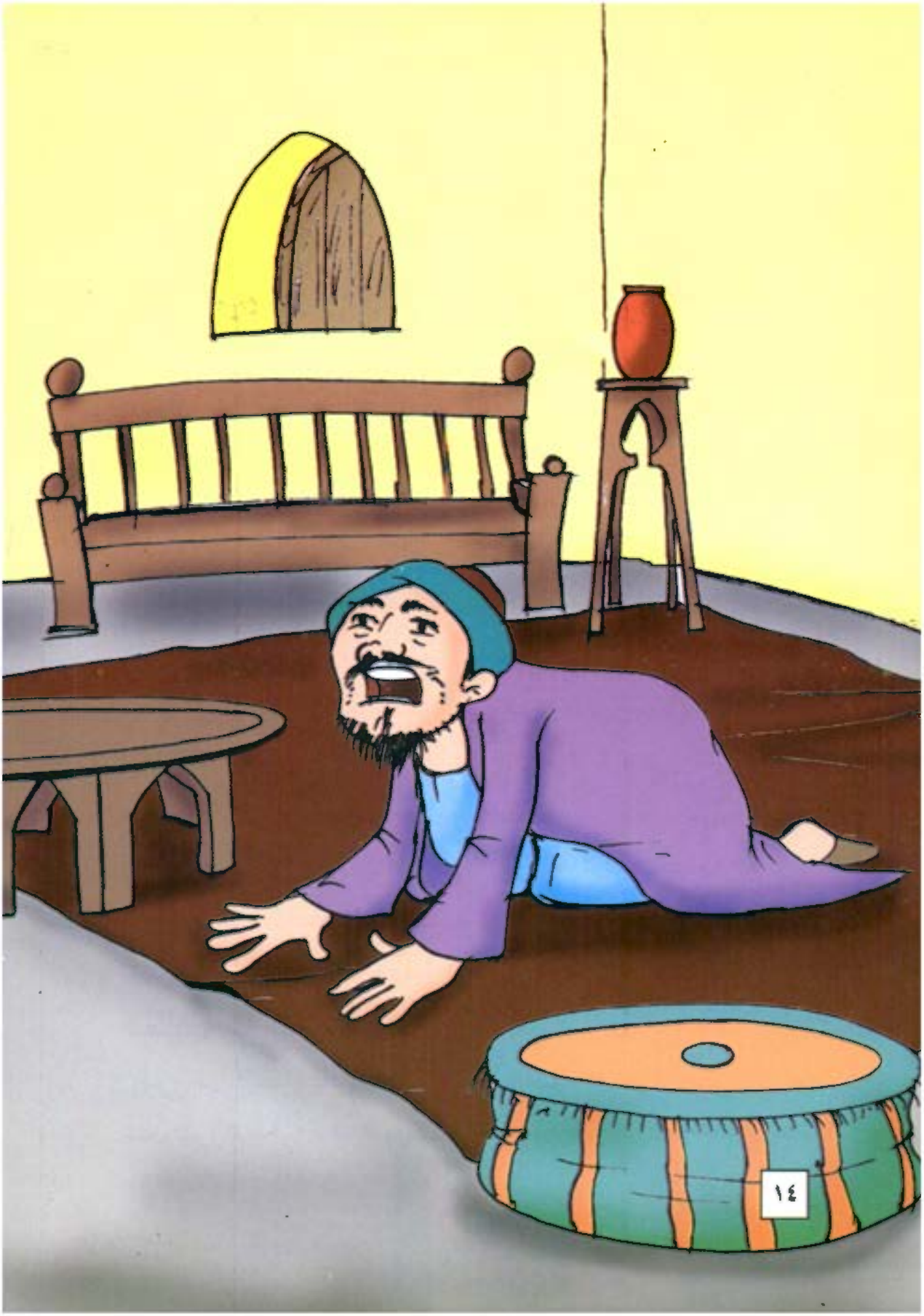

الشرطة وطلبَ منه أنْ يُوفدَ مناديًا يعلنُ عنْ ضياعِ مَاله، وعنْ تخْصيص جائزةٍ لمنْ يُعيده إليه. لَبّى صاحبُ الشرطةِ طَلَبه، وأعلنَ عنْ جائزةٍ لمَنْ يُعيدُ الكَنْز.

سرعانَ ما ظهرَ الذهبُ الضائعُ، بينَ يَدَىْ سيدةٍ عجوزٍ مُتدينة أمينَة. كَانت فَقيرة، مُقَوسَــة الظهر، حَافية القدميْن. قالت السـيدةُ لصاحب الشــرطةِ فى صوتٍ هَــادئ بَلّلتهُ بالدموع التى تســاقطتْ منْ عينيهَا، ســيدى: لَقَد اســتجابَ الله تَعَالى لدعائى، فابنتــى تحتاجُ المالَ ليتمّ الزواجُ وأطمئنّ عليهَا، ســتفرحُ ابنتى بالمكافأة فرحًا شــديدًا. أُعجبَ صاحبُ الشــرطةِ بأمانة المــرأة إذْ أعادت المالَ وهى فى أشــدّ الحاجَة إليه، ثُمّ استدعَى التاجرَ البخيلَ وطلبَ منه أن يمنحَ العجوزَ الجائزةَ الموعودَة.

تملّكت التاجرَ ســعادةٌ غريبةٌ لــدَى رُؤْيته الذّهَــب، وراحَ يتعجلُ أَخْــذه، ويتقدمُ ويتأخرُ، ثُمّ يلمسُــه ليطمئنَ نفسَــه أنه حقيقةٌ وليسَ خيالاً.

ذَكّره صاحبُ الشرطةِ بالجائزة قائلاً: فلتمنَح السيدةَ الأمينةَ الجائزةَ الموعُودة. هنَا هَتفت السيدةُ بصوتٍ امتلأَ صَراحة ساذجة حلوةً أَظْهرت مَا فى قلبهَا منْ فرح وسُــرُور: الجائزةُ يا سيدى أعطنى الجائزةَ بارك اللــه فيكَ. إلاّ أنّ التاجــرَ جفّ ريقُهُ وتبدّلت مَلامحُه، لمّا ســمعَ هذه الكلمــةَ، وَرَاحَ يفكرُ فى طريقــةٍ يتهرّبُ بهَا منَ الوفــاء بوَعْده. فعدّ القطعَ الذهبيةَ مرةً بعدَ أخــرى، ومعَ أنّهُ وجدهَا كاملةً إلّا أنه التفتَ

إلى العجوز قائلاً: هناكَ أربعٌ وثلاثونَ قطعةً ذهبيّةً، وضعتهَا فِى هذَا الكيس لا وجودَ لَهَا الآنَ فِيه.

دَارت الدنيَـا بالسـيدة العجوز الأمينة، وأوشَـكت علـى البكاء، وتوجّهَت إلى صاحب الشـرطة بصوت مخنوق: آه، سـيدى، هلْ هَذَا مُمْكـن؟ أمعقولٌ أنْ أسـرقَ أَرْبعًا وثلاثينَ قطعةً، وكانَ فِى وسـعى أنْ استولِى عَلى الذهب بكَامله، أقسمُ أننى أعدتُ المبلغَ كَاملاً!

أصـرّ التّاجرُ البخيـلُ عَلى اتهامهَا بإخفاء القطـع الناقصَة، وقال: سـيدى.. نعتبرُ المبلغَ الـذى أخذته جائزةً لهَا رحمـةً بهَا وبابنتهَا اليتيمَة. آه!! يالطيبَة قلبى لاَ داعى لمعاقبتهَا.

أيقنَ صاحبُ الشـرطة أنّ التاجرَ البخيلَ دبّر هَذه الحيلةَ ليخدعَ السيدةَ المسكينةَ، ويحتفظَ بالجائزة التى أعلنَ عنهَا. اشمأزّ صاحبُ الشرطَة مِنْ بُخْل التاجر لمّا اكتشفَ خُطّته الخسيسَة. أَطْبَقَ شفتيه وَقال فِى نفسـه: هذَا الشـريرُ لا يحفظُ وَعْده، ولا يرحمُ غيره منَ المسـاكين الضعفاء، سأُعلمُه درسًا قاسـيًا فمنْ حفَر حفرةً لأخيه وقعَ فيهَا.

نظرَ صاحبُ الشرطة إلى التاجر الشرير - باحتقَار- قَائلاً:

- ولماذَا لمْ تذكُر المبلغَ كاملاً قبلَ أنْ تعلنَ عن الجَائزة؟!

فكانَ جَوَابه: نسيتُ يا سيدى.

قالَ صاحبُ الشـرطة بصوت حادّ ملؤهُ الغضـبُ: اتضحَ لِى أنكَ تودُّ أنْ تأخـذَ مَا ليسَ لَكَ، فالمبلغُ الذى تَذْكره لا وجودَ لَه، أعتقدُ أنّ المالكَ

الحقيقى لهذا المال الذى عثرت عليه السيدة العجوز، هو حارسى الخاص الذى فقد خمسمائة قطعة ذهبية لا أكثر ولا أقل فى اليوم نفسه الذى فقدت فيه مالك، انصرف الآن فلا داعى لبقائك.

فى هذه اللحظة شعر التاجر البخيل بألم فى رأسه، وطنين فى أذنيه وتسارعت دقات قلبه، فالموت أهون عليه من أن يفقد ذهبه. أخذ يفكر فى حيلة تنقذه من الورطة التى أوقع نفسه فيها، وراح ينزع شعر لحيته الطويلة من شدة حزنه، ويلقى بها على الأرض شعرة وراء الأخرى.

راقبه صاحب الشرطة وأدرك ما كان يجول برأسه، ثم اتجه إلى الحاجب وأمره بصوت حازم جازم: استدعى حارسى الخاص ليتسلم القطع الذهبية ويمنح السيدة الأمينة الجائزة التى تستحقها، ثم التفت إلى التاجر البخيل قائلاً:

أما أنت أيها التاجر فعليك أن تنتظر فى بيتك حتى يعثر أحد على ثروتك المفقودة.

تفتق ذهن البخيل الماكر عن حيلة تخرجه من أعماق البئر المظلم الذى أوقع نفسه فيه، فاندفع نحو القاضى وقال مستعطفاً:

سيدى القاضى العادل الفاضل تذكرت الآن أننى تهورت وتسرعت واشتريت عباءة ثمينة من القطيفة بأربع وثلاثين قطعة ذهبية قبل أن أفقد كيس الذهب. سيدى: رد علىّ الخمسمائة قطعة، حفظك الله لنا فلم أفقد أكثر من هذا المال الذى أمامك درهماً واحداً.

قال القاضى: الآن ظهر الحق وانكشفت حيلتك أيها اللئيم. حكمت عليك بأن تعطى جائزة مضاعفة للسيدة المسكينة الأمينة، جزاء وفاقا

عَلى سـوء نيتكَ، وعدم احترامكَ لوعْدك، أجاب التاجرُ أمرك سيدى ولو أنّ نفسى فَارقتنى لكَانَ أهونَ عَلَىّ مِنْ ذلكَ.

غـادر التاجرُ المكانَ نادمًا عَلى ما كانَ، فمَا شَـاركه منْ قبلُ فِى مَاله إنْسَـان. انكفأ عَلى وجهـه فِى الطريق مِنْ شـدّة الضيق، وتعلقَ الترابُ بلحْيتـه وشـاربه، قامَ وانتبـهَ واحتضنَ ذَهبه فهدأت نفسُـه وغادرَ الحزنُ قلْبَه قليلاً.

أعربت السـيدةُ عنْ شكرهَا لصاحبِ الشـرطة، وغمرَ قلبَهَا الشعورُ بالسـرور. طرقتِ الفرحةُ بـابَ بيتهَا بعدَ غيابٍ طويـلٍ، وتزوجَت ابنتهَا عَلى نفقَةِ التاجرِ البخيلِ.

# عدالة السماء

كانَ الاحتفـالُ بعيـد الربيع أجملَ وأبهجَ احتفـالٍ أُقيمَ فى تلك السّـنة. تحوّلت البلدةُ الصغيرةُ فى ذلكَ المساء، إلى نهارٍ منْ كثرة الأضواء التى انتشرَتْ هنا وهناك.

التقَى الكبارُ والصغارُ عندَ ضفاف البحيرة الصّافية، التى امتلأت بالقوارب الشـراعيّة ذات الألْوَان الفاقعة البرّاقة، انعكسَت أنوارُ الفوانيس على سـطح الماء ورَسمت أشـكالاً جميلة، دفعهَا الهواءُ يميناً وشمالاً فأخذت تتحرّكُ وتتراقصُ بلاَ تَوقُّف.

انتشـرَ الحرسُ هنا وهنـاكَ لحفظ النظام، فكثيرًا مَا كانَ يشـتدُ الزحام حولَ الفرق الموسيقية التى تعزفُ أعذبَ الألحَان. انعكستْ أشـعةُ البدر على المكان، فبدَا كأنه قطعةٌ منْ عالم مسحور، أوْ حلْم منَ الأحلام.

كانَ عمُّ آدم أشهرَ تاجر حرير فى البلدة، وكانَ رجلاً مرحًا أمينًا حسنَ المعاملة، فأحبّه شريكُه فى الدكان، وترَكَ له التصرُّفَ فى كلّ الأمور؛ لشـدّة ثقته به. خرجَ عم آدم منْ بيته قاصدًا بيتَ شريكه؛ ليعطيه نصيبه منَ المكسب الذى ربحَهُ فى الأسابيع السّابقة. كانت الألعابُ الناريّةُ قدْ بَدأَت، وارْتَفعت إلى السّماء، وشَكّلَتْ رسومات

وألوانٍ تشــدُّ العيونَ والآذانَ. وجدَ نفسَــه مُتجهًا ناحيةَ البحيرةِ، وجلسَ على دكّةٍ خشبيّةٍ لمْ يكنْ يجلسُ عليهَا سوَى سيدةٍ مبتسمَةٍ، وقدْ ظَهرت أسنانُهَا ناصعَةَ البيَاض.

بدتْ السـيدةُ بتواضـعٍ وتقوَى، فِى يدهَا مِسْـبحةٌ زرقَاءُ فِى لونِ الفيْرُوز. أخذتْ تسـبحُ وتتأملُ مَا حولهَا فِى هدوءٍ وسـلام. حَدّقَ فيهَا لحظاتٍ وقَال لنفسـه: يا لهَا مِنْ ملاَكٍ يمْشِى عَلى قدمَيْنِ !! وبعدَ فترةٍ مِنَ الوقتِ تأهبَ لمغـادرةِ المكانِ، فوقفَ واحتضنَ كيسَ النقـودِ، وانطلقَ إلى بيتِ صَديقـه؛ ليدفعَ له نصيبَه مِنَ المَالِ. قرعَ البـابَ قائلاً: افتـحْ لقد أتيتُ إليكَ بالخيرِ فِى نفـسِ الميعادِ، فأنَا كالبدرِ يظهرُ فِى مَوْعده مِنْ كلِّ شهرٍ. رحّبَ شَريكه قائلاً: اعطِنى المالَ يَا بدرَ التّمام.

دسّ يَدَه فِى كيسِ النقودِ، فلمْ يجدْ بداخله أيَةَ قطعةٍ نقديَة. تملّكتْهُ الدهشةُ وصَاح: هل فقدتُ عقْلى؟ أينَ النقودُ؟ أخذت عيناهُ تدورُ داخلَ الكيسِ الفارغِ، وسمعَ دقاتِ قلبِه تتعَالى كأنهَا الطبلُ، وأوشكَ أنْ يقعَ علَى الأرْض.

وفجأةً لمَحَ شـيئًا لامعًا داخلَ الكيسِ، مَدّ يَدَهُ والتقطَهُ فإذَا به سوارٌ مِـنَ الذهبِ، تُزينه فصوصٌ مِنَ المَاسِ. صُعقَ التاجرُ المسـكينُ وكادَ أنْ يفقـدَ عقْلَـه، واعتقدَ أنّ فِى الأمـرِ خدعةً، وأنّ هذَا السّـوَارَ مزيّف. وتوَقّـفَ عَقلُه عن التفكيرِ لحظاتٍ، ثم هبّ واقفًا وتركَ المكانَ وانطلقَ إلى الخَارجِ، قفزَ درجاتِ السـلمِ وخرجَ إلى الشارعِ وصَاحبهُ يُناديه:

هَلْ جُننتَ؟ مَاذَا دَهَاكَ؟ إلى أينَ أنتَ ذاهبٌ؟ ثمّ تطلّعَ منَ النافذةِ فرآه يجرى بأقصَى سرعةٍ كأنّه السحابُ والناسُ يخْلونَ له الطريقَ اعتقادًا منهم أنّه مَجْنُون.

أسرعَ إلى بيتِ صديقِه الصّائغِ مُضطربًا مَهْمومًا؛ ليعرفَ قيمةَ السّوارِ الذّهبـى المرصّع بالماسِ الذى وجَدَه داخـلَ الكيسِ بدلاً منْ نُقُوده التى سُـرقت منه. أجَابه الصّائغُ: هذَا السوارُ يُساوى أكثرَ منْ مائتىْ قطعةٍ ذهبيّة. فاطْمأنّ قلبهُ وبلعَ ريقَه.

شـكرَ الصائغَ وعادَ إلى بيتِه. تذكّرَ أنّ الكيسَ كانَ بجَانبه عندمَا كانَ مُسـتغرقًا فى مُتابعةِ الصّواريخ التى أضَاءت السمَاء. عضّ على شفتيْه منَ الغيظ وقال فى نفسـه: مَا كانَ يجـبُ أنْ أذهبَ إلى الاحتفالِ قبلَ إعطاءِ المالِ لشريكى، هذَا تصرفٌ لا يليقُ بتاجرٍ حَريص.

تذكّرَ السيدةَ التى كانت جَالسـةً بجانبه، السّيدةَ الطّيبةَ، فقالَ فى نَفْسـه: خدعَنى مظهرُ تلـكَ اللّصّةِ الماكرةِ لا بدّ أنهـا مدّت يدهَا إلى داخلِ الكيس، والتقطَت المالَ بخفّةٍ فوقعَ السـوارُ الغَالى بداخله دونَ أنْ تَشْعر. تملّكه الحزنُ لأنّه لا يعرفُهَا، ولا يعرفُ كيفَ يهتدى إلى مكانهَا. لامَ نفسَـه لومًا شديدًا، فقدْ خدعَه وجهُهَا البريءُ وابتسامتُهَا المَلائكيّة. قالَ فى نفسه: رحمَ الله أبى كَانَ يقولُ: الحيّة ملمسهَا ناعمٌ ولدْغتهَا قاتلة.

ظلّ مسـتيقظًا طوالَ الليلِ يدعُو الله أنْ يكشـفَ له حلّ هذَا اللُّغْز المُحيّر. بعدَ أيامٍ لمحَ آدمُ إعلانًا مكتوبًا بأحرفٍ غليظةٍ، وملصقًا عَلى

عَمُود فى الطّريق: سوارٌ ذَهبى ثمينٌ مفقودٌ ولمَنْ يُعيده مُكافأةٌ كبيرةٌ، الرّجَا أنْ يتوجّه منْ يَجده إلى بيت القاضى وَيسلّمه مَشكورًا.

صعَــقَ صاحبنَا، وأعادَ قراءةَ الإعلان مرةً بعدَ مرةٍ، وانفجرَ ضاحكًا: تلكَ اللصةُ الجريئةُ تســرقُ مالى وتعلنُ عنْ جائزةٍ لمَنْ يجدُ سِــوَارهَا.. يَا للعجَب ! !

توجّه إلى بيت القاضى، قدّم التحيّةَ الواجبَةَ وقال: ســيدى القَاضى لدَىّ اعترافٌ بســيطٌ فإنْ أذنْت لى أطلعتكَ عَليه. وَلى شرطٌ وَاحدٌ إنْ لمْ تقبلْهُ عدتُ منْ حيثُ أتيتُ. أجَابه القاضى باستغرابٍ شديدٍ: تكلّم فإذَا كانَ الشرطُ معقولاً قَبلْتُه.

اندفعَ قائلاً: أنَا الرجلُ الذى وجدَ السوارَ الذّهَبىّ، ولكننى لنْ أعيدَهُ إلاّ إلى صاحبته نفســهَا. فإذَا تلطّفت وتعطّفت وأرْسلتنى إلى بيتهَا، فثقْ بأننى سَــأذهبُ فى الحال والتّوِّ لأعيدَه إليهَا. لكنْ على شــرطِ أنْ ترســلَ معى شُــرطيا تثقُ به كُلّ الثقةَ، وليعْلَم ســيدى القاضى أنى لا أطلبُ مكَافأَة.

نَادَى القاضى شُــرطيًا، وأَمَره أنْ يصحبَ الرّجلَ ويرشــدَهُ إلى عنوان صاحبة السوَار. كانَ الشُرطى رجلاً طويلاً، نحيلاً، مُقَطب الحَاجبيْن، له شاربان عظيمان.

طلبَ تاجرُ الحرير منَ الشُــرطى أنْ يختبئَ وراءَ الشّــجرة ويراقبَ مَا ســوفَ يحدثُ. قال له: أرجُو أنْ تحبسَ أنفاسَكَ، ولا تنْطقْ بكلمةٍ حتّى لا تشعر السيدةُ بوجُودكَ.

تطلّعَ إلى البيتِ القديم الذى التصقَتْ به الأتربةُ، ونسجَ العنكبوتُ خُيوطَه على حوائطه وصفّق بيَديْه، بعدَ لحظاتٍ ظَهرت سيدةٌ منْ ناحيةِ السلّم وقالتْ بصوتٍ مُرْتفع: منْ أنتَ؟ وماذَا تريدُ أيهَا الرجلُ؟ اقتربَت وحدّقت فى وجهه فإذَا به الرجلُ الذى غَافلَتْهُ وسَرقتْ نُقُودَهُ فِى يوم الاحْتفَالِ، وَمَا إنْ عَرَفته حتّى ظهرَ عَلى وجههَا الشحوبُ منْ شدةِ الفَزع. قفزتْ أسئلةٌ كثيرةٌ إلى عقلهَا، كيفَ استدلّ عَلى عُنوانهَا؟ منْ أخبرهُ أنهَا سَرقتْ نقودَه؟ هل يصحبهَا إلى الشرطةِ فتسْجَن عقابًا لهَا عَلى جَريمتهَا؟. فكّرت فِى المصيرِ الذى ينتظرهَا، وأوشَكت عَلى الإغمَاء، لكنهَا تمَالكت نفسَها، تظاهرَت بالقوةِ والثباتِ، وصَاحت بصوتٍ مُرْتفع: مَاذَا أتى بكَ إلى هنَا؟

اندفعَ صاحبُنَا نحوهَا وأشَارَ بيدهِ مهددًا قائلاً: أيتهَا اللّصةُ أعيدى إلىّ نقودى التى حَصُلتُ عليهَا بجهدى وتعبى وإلّا أخذتكِ إلى القاضى لتنَالى عقَابك. اعتدلتِ السيدةُ الماكرةُ وتظَاهرَتْ بالهدوء، فقد اعتادت الكَذبَ شأنُ كُل اللصوصِ وَقَالت: كيفَ تتهمنى بالسرقةِ دونَ دليلَ أيهَا المخْبُولُ؟

فى تلكَ اللحظةِ أخرجَ التاجرُ الذكىُ السوارَ الذّهبى منْ جيبه وقالَ لهَا مُتسائلاً: أهذَا سوارك؟ تطلعَت إلى السوارِ وبرقتْ عيناهَا منْ شدةِ الفرحِ، حتّى أنهَا قَفزَت نَحْوه كما يقفزُ الثعلبُ الماكرُ عَلى الصيدِ السّمين، ثمّ انْطَلقَتْ قائلةً: هو سوارى - بلاَ شَكّ - وَقدْ أخبرتُ القاضى بأوصَافه وعَددِ الآلئ التى تُرصّعُه، هيّا أعْطنى إيّاه. أطبقَ

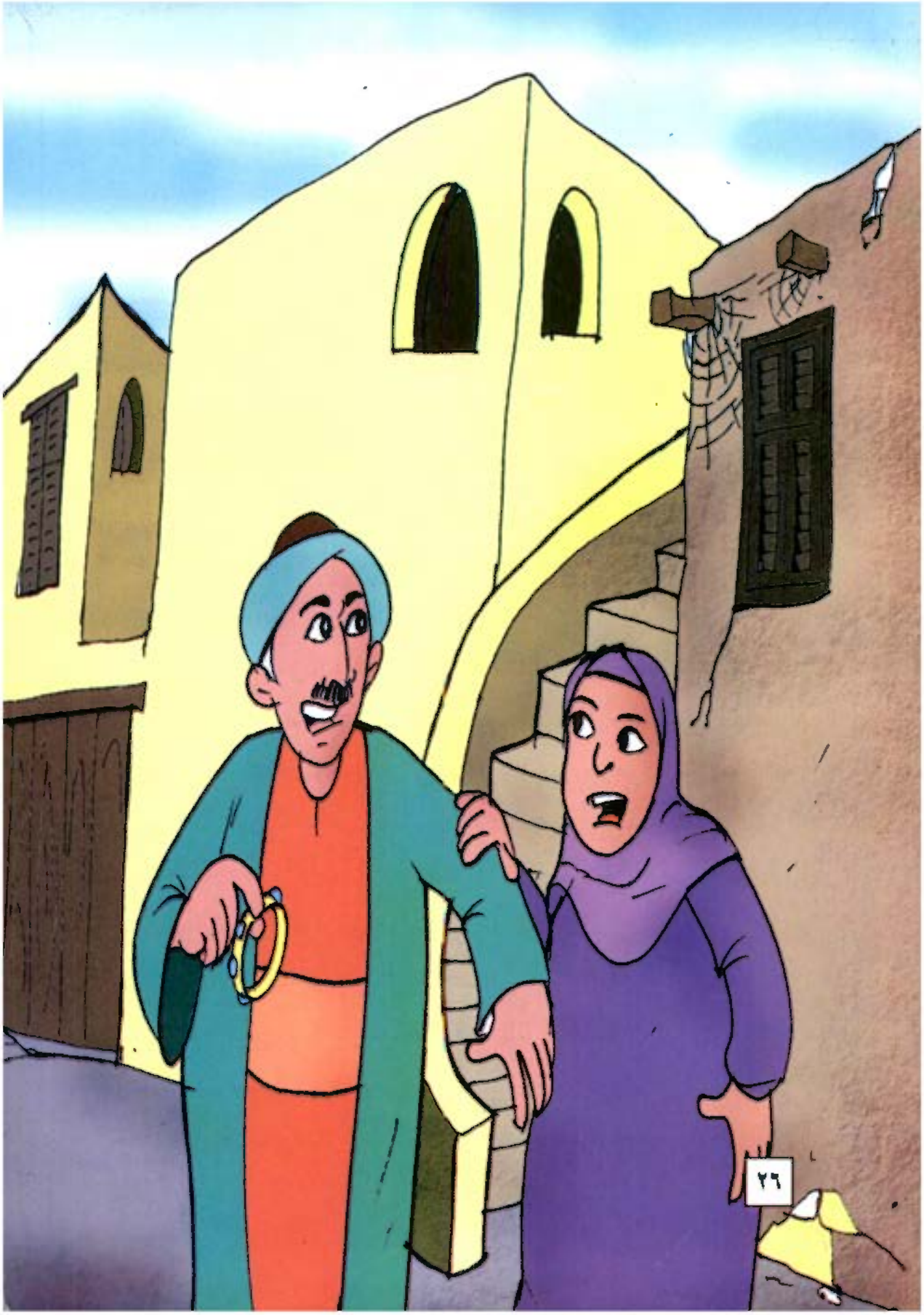

التاجرُ شفتيْه وقال بإصرار: لقد أبلغَتْ سيدةٌ أخرَى عنْ فقدهَا للسوارِ وأدلَتْ بأوصَافه كاملةً وسأصحبكَ الآن إلى مقرّ القضاء، ليحكمَ القاضى أيكما صاحبةُ السوَار. سكتَ لحظات قبلَ أن يخبرهَا بالمفاجأة الكبرى بالمناسبة وجدتُ هذا السوارَ داخلَ الكيس يومَ سُرقت نُقُودى، تَعالتْ دقّاتُ قلبهَا وجفّ ريُقهَا، وَاسْتندتْ عَلى الحائط، فقدْ أَوْشكتْ عَلى الإغمَاء. لَمْ تتصَوّرْ- أبدًا- عندمَا فقدَتْ سوارَهَا أنه سقطَ دَاخلَ الكيس وهى تسرقُ النُقُود. اعتقدتْ أنهَا فقدَتْه فى طريق عَودتهَا منَ المهْرجَان. قالتْ فى نفسهَا: هلْ أعلنتُ عنْ فقدى للسوار، أمْ أعلنتُ عَنْ جريمَتى؟؟ إنّنى غبيّةٌ تعيسةُ الحظّ، تظاهرتْ بالبكاء وأخذتْ تجففُ دموعهَا التى رفضتْ أنْ تسيلَ على خديهَا وقالتْ بصوت يغلبُ عليه المكْر: سيدى أعطنى السوارَ وسوفَ أردُ عليكَ نقودكَ، فالسوارُ مزيّفٌ قليلُ القيمة لكنّنى فى حَاجة إلى ثمنه فأنا فقيرةٌ محتاجةٌ كمَا تَرى، ولا دَاعى للذهاب إلى القاضى، أرجوكَ اكتمْ هذَا الأمرَ وسأرُدُ عليكَ مَالَكَ كاملاً.

أخفَى التاجرُ غضَبَهُ وقَال: لقدْ أخْبرنى صَديقى الصائغُ أنه مُزيّفٌ ولاَ يُسَاوى قيمَة المال الذى سَرَقْتيه منّى. رُدّى علىّ نقودى، وسوفَ أعطيكِ السوَار. اضطربتْ وبلَعت ريقهَا بصعوبة بالغة لشدّة حرصهَا على نجاح خطتهَا، وخوفهَا منْ فشل حيلتهَا الماكرَة. أجابتْ بمسْكَنة: سيدى سأردُ مَالكَ ما دمتَ سَتكتمُ هذَا السرّ، وتردُ علىّ السّوَار، ولنْ أنسى معروفكَ حتّى آخرَ لحظة فى عُمْرى.

غَابت داخلَ البيتِ لحظاتٍ قصيرةً، وعَادت مُمْسكةً بصرّةٍ فى يدهَا، ثم وضَعت النقودَ فِى كفِّه، فإذا بهَا القطعُ نفسُهَا التى سَرَقْتَهَا.

حَانت اللحظةُ الحاسمةُ، وأشارَ بيدِه إلى الشُرطى الذى انطلقَ تجاهَ السّارقة كالسّهْم، وقبضَ عليهَا بيد، ومسحَ عَلى شَاربه الكبير باليد الأُخرى وصَاح قائلاً: سمعتُ اعترافكِ بأُذنى أيتهَا اللصّةُ، هيّا بِنَا فإنّ القاضِى فى انتظارنَا.

تصوّرَتْ أنّ جريمتهَا ستمرُ بدونِ عقابٍ، ولمْ تعرفْ أنّ السماءَ تعاقبُ المجرمينَ بطريقةٍ لا تخطرُ لهُم علىً بَال. أرادَ الله أنْ يسقطَ السوارَ الذّهبى فِى الكيس؛ ليكشفَ جريمةً ارتكبتهَا جزاءً على إجرامهَا. أصدرَ القاضِى حُكمه عليهَا بالسجنِ عقابًا على جَريمَتىْ: سرقَة السوَار، وسَرقَة النقُود، وأعَادَ السوارَ الذّهبى إلى صَاحبته الحقيقيةِ التى أعلَنَت عَنْ فَقْده. وهنّأَ التاجرَ الذّكى على حُسنِ تَصرُّفه. وكلمَا حلّ عيدُ الربيعِ تذكرّ تاجرُ الحريرِ تلكَ الحكايةَ وَقَال: يالعَدَالة السّماء.


| | |
|---|---|
| رقم الإيداع | ٢٠٠٥/٨٠٢٨ |
| الترقيم الدولى | ISBN 977-02-6798-8 |

٧/٢٠٠٥/٢

طبع بمطابع دار المعارف ( ج . م . ع . )